(٧٣)

## ولكم فى القصاص حياة

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُتِبَ عَلَيۡكُمُ ٱلۡقِصَاصُ فِي ٱلۡقَتۡلَىۖ ٱلۡحُرُّ بِٱلۡحُرِّ وَٱلۡعَبۡدُ بِٱلۡعَبۡدِ وَٱلۡأُنثَىٰ بِٱلۡأُنثَىٰۚ فَمَنۡ عُفِيَ لَهُۥ مِنۡ أَخِيهِ شَيۡءٞ فَٱتِّبَاعُۢ بِٱلۡمَعۡرُوفِ وَأَدَآءٌ إِلَيۡهِ بِإِحۡسَٰنٖۗ ذَٰلِكَ تَخۡفِيفٞ مِّن رَّبِّكُمۡ وَرَحۡمَةٞۗ فَمَنِ ٱعۡتَدَىٰ بَعۡدَ ذَٰلِكَ فَلَهُۥ عَذَابٌ أَلِيمٞ ١٧٨ وَلَكُمۡ فِي ٱلۡقِصَاصِ حَيَوٰةٞ يَٰٓأُوْلِي ٱلۡأَلۡبَٰبِ لَعَلَّكُمۡ تَتَّقُونَ ١٧٩ ﴾

[سورة البقرة: الآيتان: ١٧٨ - ١٧٩]

* * *

«المدينة فى جمادى الآخرة للسنة السادسة للهجرة، وقد عادت سالمة سرية زيد بن حارثة إلى الطرف.. كانت قد خرجت فى خمسة عشر رجلا إلى بنى ثعلبة، على ماء قريب من «المراض» دون النخيل على نحو ستة وثلاثين ميلا من المدينة، وعلى نحو عشرين ميلا من بطن نخل.. هابتها الأعراب وهربت فلم تلاق السرية كيدًا، وعادت موفورة إلى المدينة تطمئن المسلمين إلى استتباب ما حولها..».

«المسجد النبوى، النبى ﷺ فى صحابته.. يدخل دحية بن خليفة الكلبى على حالٍ بالغة السوء، أشعث معفرًا بالتراب والدماء.. كان الرسول عليه السلام قد بعثه برسالة إلى قيصر الروم.. يقبل عليه المسلمون حانين مشفقين يسألونه ما هذا الذى ألم به!..».

المسلمون : أفعل بك هذا صاحب الروم؟!

دحية الكلبى : لا والله.. (يتجه إلى الرحمة المهداة) بل أحسن لقائى يا رسول الله، وأجازنى وكسانى.. دفعت خطاب رسول الله إلى عظيم بُصرى كما أمرتنى فدفعه إلى قيصر، فأكرم وفادتى وأجازنى وكسانى..

صحابى : فمن الذى فعل بك هذا؟!

دحية الكلبى : خرج علىّ ناس من قبيلة «جُذام» من أرض جِسْمى وراء وادى القرى.. أرض غليظة بالبادية لا خير فيها، فقطعوا علىّ الطريق!!.. كان على رأسهم الهُنيد بن عوص وابنه

عوص «الصُّليعيان» (بطن من جذام).. عدوا علىّ وآذونى وسلبوا كل ما معى، ولم يتركوا علىّ إلاّ سَمَل الثوب الذى تراه علىّ يا رسول الله!!

أنصارى : (مرددًا فى دهشة) بنى جذام؟! (يستأنف) ألم يستجيبوا لصاحبهم رفاعة بن زيد وأسلموا حين ذهب إليهم بكتاب رسول الله؟!!

دحية الكلبى : بل أسلموا سلفًا وأوفوا.. ما إن بلغ رهط رفاعة ما فعلته جُذام حتى نفروا إلى الهنيد وابنه واقتتلوا معهم.. لولاهم ما نجوت.. قد استنقذونى واستنقذوا متاعى منهم!!

«يهمهم المسلمون ضيقًا وغضبًا لما ألم بصاحبهم.. إن حاله تنطق بما جرى عليه!! يسرى بين المسلمين وجوب عقاب المعتدين على رسول مسالم أعزل موفد من رسول الله عليه السلام.. إن ما صنعوه وما فعلته الأحزاب سوف يجرئ الأعراب على المسلمين وعلى المدينة..».

«النبى عليه السلام يتشاور مع المسلمين، ثم يدعو إليه زيد بن حارثة، فيعهد إليه بالخروج فى خمسمائة رجل ومعهم دحية الكلبى لتأديب المعتدين من جُذام فى أرض حِسْمى!!

* * *

«فى اتجاه أرض حسمى وراء وادى القرى.. السرية تغذ السير بقيادة زيد بن حارثة بإرشاد دليل من بنى عُذره.. تستخفى عن العيون

بالكمون نهارًا والسير ليلاً.. يستعجلون الوصول إلى طغمة الشر والعدوان..».

«مضارب الهنيد وابنه من بنى جذام.. تفجأهم سرية زيد بن حارثة مع عماية الصبح.. تغير عليهم وتلتحم وإياهم فى قتال شديد.. ما إن انجلت الجولة الأولى إلاّ وقد بلغ الكتاب أجله، وصرع الهنيد وابنه، وحققت السرية نصرًا مظفرًا..».

* * *

«مضارب بنى جذام حيث بلغت المعركة ختامها وهدأ القتال وثاب المسلمون يلملمون متاعهم وعتادهم.. يظهر فى الأفق بنو الضُبيب: رهط رفاعة بن زيد.. يقتربون حتى يدنوا من المسلمين، يتقدم منهم حِبان بن مِلّة ينادى..».

حِبان بن مِلّة : (مناديًا) إنا قوم مسلمون..

أحد بنى الضبيب : (متعجلا) قَودى! (شعار لهم للضرب بالسيف)

حبان : (يكف الضبيبى بيده) مهلاً مهلاً!

«الضبيبى يمتثل لأمر حبان بن ملة!»

زيد بن حارثة : (مستوثقًا) اقرأ أم الكتاب!

«حبان بن ملة يقرأ أم الكتاب.. زيد بن حارثة يطمئن إلى إسلامه..»

زيد بن حارثة : (إلى من بجواره) نادوا فى الناس.. إنه قد حُرم علينا ما أخذناه منهم بقراءة أم الكتاب.. (مناديًا) إن الله قد حرم علينا ثغرة القوم التى جاءوا منها إلاّ من خَتر (غدر)!!

* * *

«مضارب بنى الضبيب بالحرة، وقد عاد إليها حبان بن ملة ومن معه.. ينشدون رفاعة بن زيد الجذامى حتى يجدوه فى خيمته.. يبادره حبان ابن ملة..».

حبان بن ملة : (معاتبًا) إنك لجالس تحلب المعزى ونساء جُذام أسارى!! قد غَرّك كتابك الذى كنت فوجئت به من محمد!!

«يمضى حبان ومن معه فيروون لرفاعة ما كان من أمر سرية زيد بن حارثة، وما ردته إليهم وما استبقته.. يبادر رفاعة، فيأمر بتجهيز بعيره، وينطلق ميممًا شطر الرحمة المهداة عليه السلام بالمدينة..».

* * *

«المسجد النبوى بالمدينة، النبى عليه السلام فى صحابته من المهاجرين والأنصار، يقدم عليهم ابن عمرو وآخرون.. يبادر رفاعة فيدفع إلى النبى الكتاب الذى كان قد حمله إياه لبنى جذام».

رفاعة بن زيد : دونك يا رسول الله..

النبى : (لغلام بجواره) اقرأه يا غلام وأعلن..

الغلام : (يقرأ) بسم الله الرحمن الرحيم. هذا كتاب من محمد رسول الله إلى رفاعة بن زيد أنى بعثته إلى قومه عامة ومن دخل فيهم يدعوهم إلى الله وإلى رسوله، فمن أقبل ففى حزب الله وحزب رسوله ومن أدبر فله أمان شهرين.

«النبى عليه السلام يستفسر من رفاعة ومن معه عن الخبر.. يمضى رفاعة فيشكو إلى رسول الله أن سرية زيد بن حارثة قد طالت من لا شأن لهم بما صنعه الهنيد ونجله بدحية الكلبى!!».

رفاعة بن زيد : هؤلاء أسلموا يا رسول الله، ولم يقارفوا وزرًا!!

النبى : (آسيًا) كيف أصنع بالقتلى؟!!
كيف أصنع بالقتلى؟!!
كيف أصنع بالقتلى؟!!

رفاعة : أنت يا رسول الله أعلم.. لا نحرم عليك حلالاً ولا نحل لك حرامًا.

أبو زيد بن عمرو : أطلق لنا يا رسول الله مَنْ كان حَيًّا، ومن قتل فقد قضى أمره!

النبى : صدق أبو زيد!

رفاعة : فابعث معنا يا رسول الله رجلاً إلى زيد بن حارثة - يخلى بيننا وبين حُرَمِنا وأموالنا.

النبى : (إلى على بن أبى طالب) انطلق معهم يا على..

على بن أبى طالب : يا رسول الله، إن زيدًا لا يطيعنى!

النبى : هذا سيفى فخذه..

«على بن أبى طالب يتناول سيف النبى عليه السلام كأمارة إلى زيد، ينشد بعيرًا يركبه إلى

غايته.. يتسارع المسلمون إلى تدبير بعير فيوفقون إلى بعير لثعلبة بن عمرو يقال له مكحال.. ينطلق على مع القوم إلى غايتهم..».

* * *

«فى الطريق، يلقى علىٌّ - رافع بن مكيث الجُهَنى، قادمًا كبشير لسرية زيد بن حارثة.. يلحظ علىٌّ أنه يمتطى ناقة من إبل القوم، فيردها علىٌّ على القوم، ويصحب رافع بن مكيث معه ليدله على مكان زيد بن حارثة..».

* * *

«فيفاء الفحلتين: قناتان مرتفعتان على مسيرة يوم من المدينة، بينها وبين ذى المروة.. زيد بن حارثة فى سريته، يلحق به على بن أبى طالب فيمن معه من القوم..».

على بن أبى طالب: (لزيد مبادرًا) إن رسول الله يأمرك أن ترد على هؤلاء القوم ما كان بيدك من أسير أو سبى أو مال.

زيد بن حارثة: هل من علامة من رسول الله؟

على: (وهو يبرز سيف الرسول) هذا سيفه.

«يراه زيد بن حارثة فينادى فى الناس.. يجتمعون إليه ويلتئمون حوله..».

زيد بن حارثة: (مناديًا) من كان بيده شىء من سبى أو مال فليرده، فهذا رسول رسول الله (يشير إلى على)..

«ينصرف المسلمون كل إلى ما كان تحت يده.. يدفعونه راضين إلى القوم.. ويتهيأون إلى العودة

إلى المدينة مكتفين بما أدبوا به من عرضوا بالسوء إلى دحية الكلبى رسول رسول الله عليه السلام إلى قيصر الروم!..».

* * *

«الناس تجد فى عدل رسول الله عليه الصلاة والسلام ما يحدوهم إلى الاحتكام إليه فيما يشجر بينهم من خلاف أو نزاع.. ولكن البعض لا يستقيم قصده، فصاحب الحق لا يتوجس من الاحتكام إلى الرسول مطمئنًا إلى أن عدله كفيل بضمان حقه، بينما يعرض المخاصمون فى الباطل، مخافة ما سوف يقضى به عدله.. يتشكى الناس مما يركب نوايا البعض وأغراضهم من سوء!».

«النبى عليه الصلاة والسلام فى تحنثه وتهجده، وابتهاله إلى ربه أن يصلح ما بين الناس.. يتنزل عليه الروح الأمين، فيلقنه من كلمات ربه..».

جبريل : (يتلو على محمد) ﴿وَإِذَا دُعُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ لِيَحۡكُمَ بَيۡنَهُمۡ إِذَا فَرِيقٞ مِّنۡهُم مُّعۡرِضُونَ ٤٨ وَإِن يَكُن لَّهُمُ ٱلۡحَقُّ يَأۡتُوٓاْ إِلَيۡهِ مُذۡعِنِينَ ٤٩ أَفِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ أَمِ ٱرۡتَابُوٓاْ أَمۡ يَخَافُونَ أَن يَحِيفَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِمۡ وَرَسُولُهُۥۚ بَلۡ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ٥٠ إِنَّمَا كَانَ قَوۡلَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ إِذَا دُعُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ لِيَحۡكُمَ بَيۡنَهُمۡ أَن يَقُولُواْ سَمِعۡنَا وَأَطَعۡنَاۚ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُفۡلِحُونَ ٥١﴾[سورة النور: الآيات: ٤٨ - ٥١]

(يرتفع الوحى)

* * *

«المسجد النبوى بالمدينة، النبى ﷺ فى صحابته من المهاجرين والأنصار.. يحدثهم ويعظهم ويبين لهم أحكام الدين.. المسلمون يستمعون فى اشتياق لا يرتوى..».

النبى : من أحدث حدثًا، أو آوى محدثًا، فعليه لعنة الله، والملائكة والناس أجمعين.. لا يُقْبل منه عَدْل ولا صَرْف، وذمة المسلمين واحدة، يسعى بها أدناهم. فمن أخفر مسلمًا (نقض عهده وغدر به) فعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين.. لا يقبل منه عدل ولا صرف، ومن والى قومًا بغير إذن مواليه فعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين.. لا يقبل منه عدل ولا صرف!

(يستأنف بعد برهة) لكل غادر لواء يوم القيامة.. لكل غادر لواء يُنصب يوم القيامة لغدرته (التى غدرها فى الدنيا !)..

بعض المسلمين : زدنا يا رسول الله..

النبى : مَنْ قتل معاهدًا لم يرحْ رائحة الجنة، وإن ريحها توجد من مسيرة أربعين عامًا..

* * *

«حى من أحياء المدينة، النبى ﷺ مار فى طريقه إلى بعض صحابته، يشهد أبا ذر الغفارى يتشاجر مع رجل ويعايره بأن أمه أعجمية!!».

النبى : (لأبى ذر عاتبًا) هل سابته؟!

أبو ذر : (مطرقًا) نعم فعلت..

النبى : (لائمًا) ذكرت أمه؟!

أبو ذر : يا رسول الله.. من ساب الرجال ذُكر أبوه وأمه!

النبى : (مؤنبًا) إنك امرؤ فيك جاهلية.. إخوانكم جعلهم الله تحت أيديكم، فمن كان أخوه تحت يده فليطعمه من طعامه، وليلبسه من ثيابه، ولا يكلفه ما يغلبه.. (ناصحًا) انظر، فإنك لست بخير من أحمر ولا أسود، إلا أن تفضله بتقوى الله..

«أبو ذر يطرق خجلا.. يبادر إلى الرجل معتذرًا إليه.. فيتصافحان ويتصافيان».

* * *

«شعبان من السنة السادسة للهجرة – المسجد النبوى بالمدينة، النبى عليه السلام فى صحابته.. يدعو إليه عبدالرحمن بن عوف، يقبل عبدالرحمن تسبقه أشواقه إلى الرسول يريد أن يعرف فيم يطلبه ويختاره وحوله أجلة الصحابة من الأنصار والمهاجرة..».

عبد الرحمن بن عوف: لبيك يا رسول الله..

النبى : تجهز يا عبد الرحمن.. فإنى باعثك فى سرية من يومك هذا، أو من غدٍ إن شاء الله تعالى..

عبد الرحمن بن عوف: فداك أبى وأمى يا رسول الله..

* * *

«المسجد النبوى فى غداة اليوم التالى.. ما بين الفجر وطلوع الشمس، وقد بكر عبد الله بن عمر ابن الخطاب إلى المسجد للصلاة.. يدفعه هاتف

أن يسمع وصية النبى عليه السلام لعبد الرحمن ابن عوف.. قد سمعه بأمس يأمره أن يتجهز.. فى المسجد ممن بكروا بالحضور: أبو بكر، وعمر، وعلى، وعثمان، وعبد الرحمن بن عوف، وعبدالله بن مسعود، ومعاذ بن جبل، وحذيفة ابن اليمان، وأبو سعيد الخدرى.. النبى - عليه السلام - فى مجلسه بجوار منبره، يقبل عليه فتى من الأنصار، فيسلم ويجلس بين يديه..».

الفتى الأنصارى : يا رسول الله أى المؤمنين أفضل؟

النبى : أحسنهم خلقًا.

الفتى الأنصارى : فأى المؤمنين أكيس؟

النبى : أكثرهم ذكرًا للموت وأحسنهم استعدادًا له قبل أن ينزل بهم، أولئك الأكياس. (يلتفت عليه السلام إلى الصحابة) يا معشر المسلمين: خمس خصال إذا نزلن بكم وأعوذ أن تدركوهم إنه لم تظهر الفاحشة فى قوم قط حتى يُعْلِنوا بها إلاّ ظهر فيهم الطاعون والأوجاع التى لم تكن فى أسلافهم الذين مضوا، ولم ينقصوا المكيال والميزان إلاّ أخذوا بالسنين وشدة المئونة وجور السلطان، ولم يمنعوا الزكاة من أموالهم إلاّ أمسك الله عنهم قطر السماء ولولا البهائم لم يُسْقوا، وما نقضوا عهد الله وعهد رسوله إلاّ سُلط عليهم عدوٌّ من غيرهم فأخذ بعضهم ما كان فى أيديهم، وما حكم قوم بغير كتاب الله إلا جعل بأسهم بينهم..

«النبى ﷺ ينظر فيلفى عبد الرحمن بن عوف لا يزال بالمسجد. وكان قد أمره بأمس أن يسير

من الليل إلى «دومة الجندل» فيدعو بنى كلب والقبائل هناك إلـى الإسلام.. يدعو عليه السلام عبد الرحمن بن عوف إليه فيهرع إليه مسرعًا..».

النبى : (مبادرًا) ألم آمرك أن تسير من الليل؟!.. إن رجالك معسكرون بالجُرْف (على ثلاثة أميال من المدينة)!

عبد الرحمن بن عوف: (كالمعتذر) أحببت يا رسول الله أن يكون آخر عهدى بك وعلىّ ثياب سفرى..

«النبى عليه السلام يقرب عبد الرحمن منه.. ويقعـده بين يديه، فينفض عمامته بيده، ثم يعممه بعمامة سوداء من الكرابيس (لفظ فارسى معرب كناية عن الخشن من الثياب)».

النبى : (حانيًا وهو يرخى العمامة بين كتفيه) هكذا يا ابن عوف اعتم فإنه أحسن وأعرف..

«النبى عليه السلام ينادى بلالاً، فيأمره بأن يدفع اللواء إلى عبد الرحمن بن عوف..».

النبى : (وهـو يناوله اللواء) خذه يا ابن عوف.. اخرج فى سبيل الله، لا تقاتل إلاّ من كفر بالله.. لا تغلوا ولا تغدروا ولا تنكثوا ولا تمثلوا ولا تمسوا وليدًا فهذا عهد الله وسنة نبيكم فيكم..

عبد الرحمن بن عوف: لبيك يا رسول الله، فداك أبى وأمى..

«يخرج عبد الرحمن بن عوف مسرعًا حاملا اللواء ليلحق بمن سبقوه إلى «الجُرف»..».

* * *

«فى دومة الجندل بعد أيام.. مضارب بنى كلب والمسلمون ماكثون معهم لليوم الثالث، يحادثونهم ويدعونهم إلى الإسلام.. كانت بنو كلب قد أبت فى اليوم الأول أن تعطى إلاّ السيف، فصبر ابن عوف والمسلمون عليهم، وأخذوا يبينون لهم الإسلام ويقربون إليهم أحكامه.. ما إن أهل اليوم الثالث حتى تغشت أقباس الهداية.. زعيم القوم: الأَصْبَغ بن عمرو الكلبى، وكان نصرانيًّا فدخل الإسلام قلبه، وتبعه كثيرون من قومه – إلا قليلون أقاموا على دينهم وآثروا الجزية، فلم يعرض لهم المسلمون، وتركوهم وما يريدون.. وطار البريد إلى الرحمة المهداة بما فتح الله به من دخول القوم فى الإسلام وزواج عبد الرحمن بن عوف – بإذن النبى – من تماضر بنت الأصبغ التى صاحبت المسلمين فى رحلة عودتهم إلى المدينة..».

* * *

«المسجد النبوى بالمدينة، النبى – عليه السلام – فى صحابته، يظهر قادم على عجل، يلتمس الرحمة المهداة، وصهره على بن أبى طالب.. على محياه بشـارة ومسرة..».

المسلمون : ما وراءك؟!

القادم : جئت أبشر النبى وعليًّا.. قد ولدت الزهراء..

المسلمون : والمولود؟

القادم : رزقت بشقيقة للحسن والحسين..

المسلمون : قد حلت البركات..

«النبى – عليه السلام – يستقبل بالرضا نبأ مولودة الزهراء.. تنساب أنسام المسرات والبركات.. الرحمة المهداة يتوجه بالشكر والحمد والدعاء إلى السماء فرحًا بأم أبيها التى رزقها الله ببنت بعد الحسن والحسين..».

على بن أبى طالب : (مغتبطًا) ماذا نسميها يا رسول الله؟..

«النبى – عليه السلام – سابح فى تأملاته وذكرياته، تتخايل فى وجدانه صورة ابنته الغالية زينب وما كابدت وصبرت.. يلتفت حانيًا إلى علىّ..».

النبى : زينب.. تيمنًا باسم خالتها زينب..

على : (راضيًا) ما تراه يا رسول الله..

«تنساب الدعوات وتشيع المسرات بين المسلمين..».

* * *

«الجزيرة العربية ولا تزال عادات الثأر فاشية متفشية بلا ضابط ولا معيار ولا رابط.. يوجهون الثأر إلى غير جان، ويقتلون العدد بالواحد، والإنسان بالحيوان.. لا يقيمون لحياة الإنسان وزنًا ولا قيمة، وتعميهم نيران الثارات عن الحق والعدل.. هذا القتال الضارى الذى شجر

بين حيين من أحياء العرب من أيام الجاهلية واستمر حتى لحق بهم الإسلام.. اتسعت بينهم الخصومات، وكثر القتلى، وتفشت الجراحات حتى قتلوا العبيد والنساء، ويقتلون الحر بالعبد، والعدد بالواحد، ويكثرون فى التقتيل ويجعلون ذلك بابًا للتيه والتفاخر.. يستهويهم ويتذاكرون بإعجاب قصة الشريف الذى اجتمع إليه أقارب قاتل ولده لاسترضائه بالدية التى تشفى غليله، يسألونه ماذا يريد؟، فيقول لهم إحدى ثلاث. قالوا: ماهى؟ قال: إما أن تحيوا ولدى، أو تملأوا دارى من نجوم السماء، أو تدفعوا إلىّ جملة قومكم حتى أقتلهم، ثم لا أرى أنى أخذت عوضًا!!».

«النبى ﷺ فى خلوته يتعبد ويتهجد، سابح فى تأملاته فيما احتكم إليه الحيان وقد اتسع الخرق بينهما حتى لم يعد له دواء.. النبى عليه السلام فى ضراعته ومناجاته ربه يتنزل عليه الروح الأمين..».

جبريل : (يتلو على محمد) ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُتِبَ عَلَيۡكُمُ ٱلۡقِصَاصُ فِي ٱلۡقَتۡلَىۖ ٱلۡحُرُّ بِٱلۡحُرِّ وَٱلۡعَبۡدُ بِٱلۡعَبۡدِ وَٱلۡأُنثَىٰ بِٱلۡأُنثَىٰۚ فَمَنۡ عُفِيَ لَهُۥ مِنۡ أَخِيهِ شَيۡءٞ فَٱتِّبَاعُۢ بِٱلۡمَعۡرُوفِ وَأَدَآءٌ إِلَيۡهِ بِإِحۡسَٰنٖۗ ذَٰلِكَ تَخۡفِيفٞ مِّن رَّبِّكُمۡ وَرَحۡمَةٞۗ فَمَنِ ٱعۡتَدَىٰ بَعۡدَ ذَٰلِكَ فَلَهُۥ عَذَابٌ أَلِيمٞ ﴿١٧٨﴾ وَلَكُمۡ فِي ٱلۡقِصَاصِ حَيَوٰةٞ يَٰٓأُوْلِي ٱلۡأَلۡبَٰبِ لَعَلَّكُمۡ تَتَّقُونَ ﴿١٧٩﴾ ﴾ [سورة البقرة: الآيتان: ١٧٨ – ١٧٩]

(يرتفع الوحى)

* * *

«المدينة وقد تواترت الأنباء من «فدك»: قرية على ست ليال من المدينة إلى خيبر، بأن بنى سعد قد خانوا وغدروا، وحشدوا جمعًا - يريدون أن يمدوا به يهود خيبر للتعرض للمسلمين!!.. يتشاور النبى - عليه السلام - مع الصحابة، فينتدب علىّ بن أبى طالب للخروج إليهم فى مائة رجل.. علىّ يخرج بالسرية، يكمن بالنهار ويسير بالليل ليستخفى عن العيون حتى انتهى إلى «الغمج» أو «الهمج»: عيون ماء غير عذبة عليها نخيل من ناحية وادى القرى ما بين خيبر وفدك.. المسلمون يقعون على رجل يورى حاله بأنه «عين» خرج يتجسس لحساب بنى سعد..».

المسلمون : من الرجل؟

العين : باغ!

المسلمون : (للرجل) هل لك علم بما وراءك من جمع بنى سعد؟!

العين : (متخابثًا) لا علم لى!

«المسلمون يحسون بتخابثه ومداراته.. يشددون عليه.. فيعترف لهم بأنه عين لبنى سعد أرسلوه إلى «خيبر»..».

المسلمون : فيم أرسلوك؟

العين : لأعرض على يهود خيبر نصرهم على أن يجعلوا لبنى سعد من تمرهم كما جعلوا لغيرهم ويقدمون عليهم!

المسلمون : فأين القوم؟

العين : (مستسلمًا) تركتهم وقد تجمع منهم مائتا رجل، ورأسهم: وَبَر بن عُلَيم..

المسلمون : فسر بنا حتى تدلنا.

العين : (مشترطًا) على أن تؤمنونى!

المسلمون : إن دللتنا عليهم وعلى سرحهم أمّنَّاك، وإلاّ فلا أمان لك.

العين : فذاك!

* * *

«فى البقاع المجاورة، الدليل يجوب بالمسلمين هنا وهناك حتى ساء ظنهم به.. ثم أوفى بهم إلى «فدفد»: مكان صلب غليظ مرتفع به آكام.. ثم انعطف بهم إلى أرض مستوية بها نَعَم كثيرة وشاء..».

العين : (مشيرًا إلى النعم) هذه نعمهم وشاؤهم.. فأرسلونى..

المسلمون : حتى نأمن الطلب ونبلغ معسكرهم..

العين : ما شأنى؟! قد نذر بهم رعاء النعم والشاء فهربوا فى جمعهم وتفرقوا؟! ففيم تحبسوننى..

«المسلمون يطلقونه ويغيرون على الهاربين وسرحهم، فيمعن الرجال فى الفرار بالظعن، ويدعون السرح وراءهم.. يكتفى المسلمون بتفرق جمعهم وشتاتهم، ويتأهبون للعودة بالأنفال ولقوح تدعى الحفدة (السريعة) إلى المدينة..».

* * *

«فى البقاع المجاورة بوادى القرى وقد تشتتت جموع بنى سعد.. يلقاهم أبو عليلة عند «بديع»: أرض من فدك، وهم يحملون الظعن

هاربين.. يدنو أبو عليلة منهم وينادى على زعيمهم وَبر بن عُليم..».

أبو عليلة : ما هذا المسير؟!

وبَر بن عليم : (وجلاً) الشر، سارت إلينا جموع محمد وما لا طاقة لنا به قبل أن نأخذ للحرب أهبتها، وقد أخذوا رسولاً لنا بعثناه إلى خيبر فأخبرهم خبرنا وصنع بنا هذا الذى ترى!!!

أبو عليلة : ومن هو؟!

وبر بن عليم : (آسيا كسيفًا) ابن أخى!!!.. (يستأنف ممرورًا) وما كنا نعد فى العرب فتًى واحدًا أجمع للقلب منه!!!

أبو عليلة : إنى أرى أمر محمدٍ قد أمن وغلظ!.. أوقع بقريش فصنع بهم ما صنع، ثم أوقع بأهل الحصون بيثرب: قينقاع وبنى النضير وقريظة، وما أراه إلا سائرًا إلى هؤلاء بخيبر.

وبر بن عليم : لا تخش ذلك! إن بها رجالاً وحصونًا منيعة، وماء واتنًا (دائمًا لا ينقطع)!!.. (يستأنف) لا دنا منهم محمد أبدًا، وما أحراهم أن يغزوه فى عقر داره!

أبو عليلة : وترى ذلك؟

وبر بن عليم : هو الرأى لهم..

«ينصرف وبر بن عليم إلى لملمة أشتات القبيلة التى تفرقت بالظعن فى الآكام وعلى رؤوس الجبال.. مهمومًا مشغول الخاطر بما عليه أن يدبره مع يهود خيبر لمداهمة المسلمين ووأد دعوتهم وحصارها قبل أن تستفحل ويزداد انتشارها.. لا يدرى فى بلبلة خاطره ماذا سوف تجىء به الأحداث؟!».

* * *